العثمانيون المتواجدون فى صنعاء المحاصرة اتفاقية الهدنة مع الامام يحيى ، وبموجبها احتفظ العثمانيون بسيطرتهم فى منطقتى تعز واب وفى ساحل تهامة اليمنى فقط ، كما ذكر امين الريحانى * .

ودخل الامام يحيى صنعاء فى ٢١ نيسان وجرد الحامية العثمانية من سلاحها وجعلها تغادر المدينة ** . وسرعان ما اتضحت عواقب هذا الخطأ . فقد وصلت الى الحديدة فى ٧ تموز (يوليو) امدادات بقيادة فيضى باشا والتحقت بالقوات العثمانية المرابطة فى اليمن ، وخاضت القتال لتدخل صنعاء . وفى الاول من ايلول (سبتمبر) ازيح الزيديون من صنعاء وارغموا على التراجع الى الجبال . واثناء الانسحاب تظاهر الامام يحيى بان قواته فرت مذعورة ، وذلك ليستدرج قوات فيضى باشا ، وعددها خمسة واربعون الفا ، الى كمين . وعندما ابتعد العثمانيون عن قواعدهم التموينية قطع عليهم ١٥ الفا من الزيديين طريق الانسحاب ، وسددت قوات الامام يحيى الرئيسية (٥٠ الف شخص) الضربات من الجناحين . وبنتيجة المعركة التى ساهم فيها اكثر من ١٠٠ الف شخص فقد فيضى باشا ثلثى قواته وعاد الى صنعاء بشق الانفس *** .

وهكذا اخفقت محاولة الباب العالى لاخماد الانتفاضة اليمنية . وبات نفوذ الامام يحيى المتزايد يشكل خطرا كبيرا على مواقع الامبراطورية العثمانية فى شمال اليمن . فالى جانب الانتفاضة اليمنية فى عام ١٩٠٥ اتسع كثيرا نطاق الكفاح ضد العثمانيين فى البلقان والحجاز . وذلك كله ، اضافة الى الوضع الدولى المعقد ارغم الباب العالى على التفاوض مع الامام يحيى . وكان واقع اقتراح العثمانيين انفسهم على الامام يحيى الدخول فى مفاوضات يعنى انهم اعترفوا به عمليا بوصفه حاكما للمناطق الزيدية وكأنما هى دولة فى دولة .

وقد جرت المفاوضات بين مأمورى الباب العالى والامام يحيى ، ولكنها لم تضع حدا للنضالات ضد العثمانيين لانهم رفضوا

---

* Rihani A. Arabian Peak and Desert. London, 1930, p. 113.

** Bremond E. Yemen et Saoudia. Paris, 1937, p. 72 a.

*** Jacob H. Kings of Arabia . . ., p. 111.

مطالب الامام يحيى بالحكم الذاتى ليس فى المناطق الزيدية وحدها ، بل وفى بعض المناطق الشافعية (مثل سنجق تعز) * .

ومع ان الباب العالى رفض رسميا الاعتراف بالحكم الذاتى للزيديين ، فان الامام يحيى فى الواقع صار منذ عام ١٩٠٨ يسيطر على كل المناطق الزيدية الجبلية ويعين القضاة والفقهاء ليس فقط فى مدن وقرى اراضيه ، بل وفى بعض المناطق الواقعة تحت السيطرة العثمانية ** .

وبعد عام ١٩٠٨ قام لبعض الوقت صلح بين الزيديين والاتراك . وحدث ذلك لان حكومة تركيا الفتاة التى استلمت السلطة فى اعقاب ثورة ١٩٠٨ فى تركيا قد اعلنت عن نيتها فى حل كل القضايا المتعلقة بولايات الامبراطورية العثمانية بالطرق السلمية ووفقا لمبادئ جديدة . وكان انصار تركيا الفتاة الذين يعبرون عن مصالح البرجوازية التركية قد نادوا بتحويل الامبراطورية العثمانية الى دولة برجوازية دستورية واعلنوا فى بداية حكمهم عن تطبيق مبدأ الحكم الذاتى السياسى للولايات العثمانية .

وانتهز الامام يحيى فرصة الهدوء فى القتال فركز جهوده على تعزيز جيشه ولذا بدأ يقيم اتصالات مع بريطانيا على امل الحصول منها على السلاح والعتاد *** .

الا ان الانجليز الذين كانوا قبل ذلك يؤيدون بنشاط كل حركة مناهضة للعثمانيين قد التزموا جانب الحذر ازاء طلبات الامام يحيى ، لانهم كانوا يخشون استمرار تعزز جنده . زد على ذلك ان المستعمرين البريطانيين سعوا الى تحديد نفوذه واخذوا يفكرون فى ايجاد قوة يمكنهم استخدامها لمواجهة امام الزيدية . وكان من مصلحة بريطانيا ان تبقى الجزيرة العربية موزعة على مشيخات صغيرة متعادية ولا تتحول الى دولة مركزية قوية . وفيما بعد لعب دور قوة المواجهة او الموازنة زعيم الحركة الصوفية الادريسية محمد بن على الادريسى .

---

* Ingrams H. The Yemen. . . p. 61.

** سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ص ٧٤ .

*** Gavin R. J. Aden under British Rule . . . , p. 239